تداولية الظاهرة الأدبية في النص الشعري الحديث
بين التوافق البلاغي والفحص الأسلوبي

الأستاذ محمد الأمين شيخة
المركز الجامعي بوادي سوف (الجزائر)

ملخص البحث

تطرح هذه المداخلة إشكالية الصراع الخفي بين المقاربة البلاغيّة و المقاربة الأسلوبيّة للظاهرة الأدبيّة في الخطاب الشعري العربي الحديث على مستوى أحقيّة وفاعلية وشرعيّة كل منهج في احتواء هذا الخطاب للكشف عن أدبيته ,هذا الخلاف الذي يتمحور أساسا في طريقة أو حقيقة تداول أو تبادل الناقد /الدارس مع الخطاب الإبداعي الشعري بين واقع اللغة البلاغيّة وطبيعتها المعياريّة ,وواقع الخطاب الشعري الحديث ومكوناته الأسلوبيّة ,ومن خلال ذلك سنحاول تحليل الأسس النظريّة لهذا الخلاف وآثاره المنهجيّة بالتركيز على جهد وعمل الناقد /الدارس في ظل عملية التداول ودوره في توجيه المقاربة النقديّة في الوجهة المراد تفعيلها للوصول إلى الحد من وطأة هذا الجدال وتحقيق التوافق البلاغي /الأسلوبي في ظل المقاربة الجماليّة والتداول الفعال

RESUME

Ce projet vient de montre la nature et la fonction de la norme lettèraire du texte entre l'analyse rhétorique et l'analyse stylistique et relever la dispute et la contestation qui flot entre deux méthode et surtout sur la législation de la rhétorique au présent d'une part et d'une autre part l' abstraction de la stylistique et tous cela a cause de mal connaissance d extrémité pragmatique et sa pression pendant l'analyse. Ce ci ma pousser de faire montré une technique qui aide le stylicien de bien connaître les limites pragmatiques entre les deux méthodes .

الإشكالية :

إنّ من أهم المجالات التي خاضت فيها المعرفة الإنسانية الحديثة و المعاصرة مجال النقد الأدبي بفضل اختلاف طرق وآليات القراءة النقدية التي جاءت بها الثقافة الحديثة ، ذلك أن مفهوم هذه القراءة قد وجه الناقدين صوب معايير جديدة ((كلها تستند إلى نسبيّة الحكم لأن لكل شيء قيمة تتنوع بتنوع سياقه الذي يرد فيه وبتنوع مقامه من الأشياء المجانسة له ،كما تتنوع قيم الأشياء بحسب الموقع الذي يُتحدث إليهم عنها من موقع الذين يتحدث إليهم عنها)) [1] وتعد الظاهرة الأدبية في النقد الأدبي الحديث مادة خامة وموضوع بحث جاد قصد تفسيرها ,ومحاولة الإحاطة بخفاياه الفنية و الجمالية التي تتطلب من الناقد حضورا ذهنيا , وذكاء فطريا ,ومعرفية نقدية متأصلة في ميدانه,ولقد أسهم العرب القدامى في إثراء الدراسة النقدية بشتى العلوم و المناهج اللغوية؛ ومنها علوم البلاغة (RHETORIQUE) التي كان لها الفضل الكبير في صناعة كلام العرب وإجادته ،وعنها يقول أحد البلاغيين ((فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فَنًّا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ,ودقة إدراك الجمال،وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب))[2] , ولذلك اعتنى العرب بها وصانوها حتى أسلموها إلى أجيالنا في العصور الحديثة بعدما أودعوا كتبهم ومؤلفاتهم العديد من قواعد هذا الفن وأسسه ,وبلغوا به الغاية ((إذ حصروه في ثلاثة فروع رئيسية هي المعاني والبيان والبديع ,وقد جاءت مقالات البلاغيين مدعومة بالنماذج والأمثلة أو غُفلا منها في أحايين أخرى ،ولكن القاسم المشترك بين المؤلفين جميعا قد يتمثل في التعريفات ,و الحدود, والرسوم, وما يستتبعها من تصنيفات رئيسية أو فرعية)) [3] أمّا علم الأسلوب أو الأسلوبية (stylistique) فهي حلقة في سلسلة البحث البلاغي الممتد, والمتواصل تمخضت عنها المناهج الأدبية الغربية في نقد الأدب وتحليله وتذوقه ,وهي اجتهاد يسعى إلى تحليل التركيب اللغوي للنصوص تحليلا موضوعيا شموليا بدءا من الكلمة ,فالجملة ، فالعبارة، ثم النص ككل سواء أكان في الشعر أو في النثر [4] لتبرز من خلالها (الأسلوبية) آليات حديثة تتناول قضايا عديدة أهمها : التصنيف النوعي للأسلوب ودلالة الكلمات,وأبعادها الحقيقية ، ومصادر وتشكيلاتها كما تتفحص الظواهر الأدبية من خلال إخضاعها لمقاييس

لسانية صارمة ومعارف لغوية ونقدية عامة ,ومجردة ــ أحياناــ وهو ما أوقع بعض الدارسين و الباحثين العرب الأسلوبيين من الأكاديميين والمختصين من أمثال (عبد السلام المسدي) و(كمال أبو ديب) ...وغيرهم في أشكالات عديدة ؛ أهمها تلك الانتقادات اللاذعة التي وجهت إليهم من قبل بعض الباحثين العرب؛وعلى رأسهم الدكتور (عدنان حسين قاسم) و(محمود الربيعي) .... وغيرهم ، وفي ذلك يعلق الدكتور عدنان حسين قاسم قائلا ((... كما أن بعض النقاد الأسلوبيين و البنيويين كانوا في مقارباتهم النقدية يجيدون " لُعبة الخفة و" تدويخ " القارئ العربي غير المهيأ أساسا لهذا الصنف من النقد الذي يتجاوز النص, يمحوه، يغتاله , أو يُصفيه))[5] وهذا كله جراء إخضاع أدبنا العربي ونقده لمقاييس تبدو تعسفية في تطبيق هذه المعطيات الغربية وإدخالها عنوة في النقد العربي ،وبذلك سجلت الساحة النقدية الأسلوبية العربية بروز ثلاث طوائف أو فئات ؛أولاها طائفة تفصل البحث البلاغي العربي عن البحث الأسلوبي انطلاقا من خصوصية النص الأدبي العربي ,وعلاقته بالبلاغة القديمة؛ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر الدكتور(محمد كريم الكواز) الذي يرى أن ((.....هناك فرقا بين الدراسات الحديثة و القديمة يكمُن في خصوصية الثقافة العربية عن الثقافات الأجنبية , وفي تغاير الأزمنة,وتبدّل المفاهيم,وكل ذلك يدعونا إلى تنمية الدراسات العربية وتطويرها لتلبي حاجة المعاصرة)) [6] ، أمّا الثانيّة فترى أن الأسلوبية هي امتداد طبيعي للبحث البلاغي في طور آخر استجابة لظروف العصر,وآلياته,وفي ذلك يرى الدكتور (حسين ناظم)أنّ القرن العشرين شهد ((... بعثا للبلاغة العربية عبر تحقيق النصوص البلاغية القديمة ،ونشرها،والعناية بشرحها ،وإصدار كتب خاصة تتناول هذا الكتاب أو ذاك من كتب البلاغة التي أصبحت معروفة في ثقافتنا ، بيد أننا نفتقر إلى محاولة جادة وجديدة تؤسس أساويته عربية تستند إلى الموروث البلاغي العربي مواشجة إياه بمنجزات تطور اللسانيات الحديثة التي أفرزتها الأسلوبية حديثا)) [7]،وتأتي في الأخير الطائفة الثالثة التي تحاول جاهدة لترسيم علم الأسلوبية وتثبيته على حساب البلاغة العربية بدعوى إنّها لا تصلح للظروف الراهنة ،ونلمس ذلك في كلام (عبد السلام المسدي) قائلا ولائما ((... ووجه العجب أن بعض الباحثين العرب ممن رسخت قَدمهم في معالجة النصوص وقوى صبرهم على مد أنفاس البحث و الاستقراء لا يُسلمُون معنا أن الأسلوبية

ما لم تبتكر متصوراتها النظرية ، ومقولاتها التصنيفية حتى تتميز كيفا وحجما عن تقسيمات البلاغة وصورها، فإننا تنتقض من حيث تريد أن تكون بديلا في عصر البدائل)) [8] ,وهو الرأي ذاته الذي أقر به الدكتور (طه وادي) عندما يصرح ّ((...فإنّ علم الأسلوب الأدبي يبدو هو الأخر منفصلا إلى حد كبير عن العلم القديم الذي كانت بينهما بعض أوجه التشابه وهو عالم البلاغة "...ومن هنا يحاول أصحاب هذا العلم ــ الأسلوبية ــ أن يجعلوه (بديلا) موضوعيا جديد لعلم البلاغة الجامد القديم))[9] ,وهو في موقف آخر يغري بضرورة إيجاد و ترسيم علم الأسلوب الأدبي لتحقيق عملية التداول،والتواصل ،والاستمرارية لتخطي كل العوائق وصعوبات هذه المرحلة التي تمتاز عن بقية المراحل بالإضافة والابتكار ([10]), وهو ما لم يقنع رواد إعلام الطائفتين السابقتين من الذين قللوا من حجج وتبريرات هؤلاء خاصة أن عددهم قليل ومحصور في فئة من أساتذة الجامعات المتخصصين أومن المثقفين الذين يلجئون ــ كما يرى الدكتور عدنان حسين قاسم ــ إلى التعميّة والإبهام لستر عورة الضحالة و السطحية معتمدين أذواقا منحرفة بعيدة عن كل منهجية ([11]) .

الموضوع و الحلول :

وللتخفيف من وطأة هذا الجدال النقدي بين هذه الفئات يتوجب علينا قبل كل شيء الإقرار بسيطرة البلاغة على التكوين اللغوي للأدب العربي في كل فتراته الزمنية, وهو من الأمور التي لا يمكن إنكارها حتى ولو حاولت الدراسات الحديثة أن تنحيها جانبا ، فإن تيارها اللغوي يندمج داخل اللغة الأدبية ذاتيا ، وفي ذلك يرى الناقد الغربي (**g.leech**) أنّ ديناميكية الحياة البلاغية داخل النص الأدبي هي روحه وهي التي تجعل منه ــ لا محالة ــ نَصًا أدبيا(poetique) ، وهي في كل ذلك أساس الخاصية الشعرية على حد تعبير أصحاب " الشكلانيّة الروسية " [12] ,وما هذا التضارب الحاصل في التناول البلاغي/ الأسلوبي إلا تضارب بين فرضيات البحث البلاغي القديم وأدوات الناقد الأسلوبي المحدث الواقع تحت وطأة قرائن تداوليّة (حالية ،ومقالية , وموضوعية) مستحدثة مما يفرض عليه فهم طريقة التبادل و التواصل فهما جيدا آخذ بالحسبان واقع اللغة التي شكل بها النص ,وواقع النقد الأسلوبي الحافل بآليات نقدية وافدة لحصر الظاهرة الأدبية حصرا أمينا وجميلا في ذات الوقت مع تحقيق

المشروعية البعيدة عن كل غموض أو تلبيس, ولابد أنها مَهمة صعبة لا تتاح إلا لفئة قليلة من النقاد .

لقد أجمعت كل الدراسات الأسلوبية العربية على الإشارة إلى موضوع أو ميدان الدراسة الأسلوبية الذي يتحدد في الخطاب الأدبي لا غير , ومحاولة إبراز الظاهرة الأدبية إبرازا أسلوبيا, وقد حققت الأسلوبية لهذا أهم شرط من شروط علميتها وذلك بإجماع كل الاتجاهات على تتناول السّمة الأسلوبية (la norme stylistique) تناولنا مَوضُوعيا بتحديد المادة اللغوية ،وتقرير حقائقها ،وخواصها الأسلوبية للوصول إلى تحديد النتائج تحديدا جماليا ينزع بهذا الخطاب إلى درجة الأدبية ([13]) ، كما وصلت البلاغة العربية القديمة بالنص الأدبي إلى غاية النضج والكمال حتى نهاية القرن الرابع هجري (ق.4.هـ) من خلال وضع وصياغة المصطلح البلاغي في أكمل صورة من حيث الكم والمعالجة الجيدة ((...ولم يكن من السهل أن يصل المصطلح البلاغي إلى ما وصل إليه .. لأنه مَرَّ بمراحل متعددة وطوَّف تطوافة جديرة بالملاحظة ،و التسجيل ،و المناقشة)) [(14)] ، وذلك كله في سبيل تفسير هذه الظاهرة أو السّمة الأدبية ،وتقنينها لحصر تأثيراتها الجمالية المختلفة على المتلقي القارئ عبر فترة زمنية معينة , أو فترات متباعدة ،ورغم أنَّ إسهامات النقد الغربي الأسلوبي كانت ــ بلا شك ــ أكثر عمقا وشمولية من المعايير البلاغية القديمة حتى فيما يخص تحديد مفهوم الظاهرة الأسلوبية / البلاغية في حد ذاتها , وحصر جميع تمظهراتها إلا أنَّ هذه البلاغة وعلى مَرِّ العصور لم تدّخر جهدا في الإلمام بالمعطيات التأليف البلاغي من غير أن تسعى إلى نظرية بلاغية كلية أو عالمية ، عكس ما ميز البحث البلاغي والأسلوبي الغربي الذي سعى في كل مراحله للوصول إلى مرحلة التنظير وهي مرحلة ((تتطلب من الناقد فرض معايير تفسيرية أو تقويمية كليّة على الظواهر التي تُستعصي طبيعتها التعددية والمتنوعة إلى الاختزال في أنموذج تفسيري أو تقويمي أو تحليلي واحد)) [(15)] ،وهو ما يميز بالفعل النظرية الأسلوبية الغربية بفضل جميع التأثيرات البنيوية و اللسانية (structuralisms) (linguistique)التي لاحقتها منذ ستينيات القرن الماضي ، وهو ما أدى بالضرورة إلى اكتناز البحث الأسلوبي الغربي بمناهج الإحصاء و الرياضة مما أضفى عليها – الأسلوبية – طابع التجريد و التعميم , الذي ينعكس

سَلبًا على غايات البحث الأسلوبي الجمالية,والفنية ،و الذوقية ،وأوقع الباحثين الغربيين و العرب على حد السواء في إشكالات منهجية زادت من حجم الهُوة بين المشتغلين بالواقع المستجد ،والمرتبطين بواقع اللغة و الثقافة الأصيلة ، وقد نقل لنا الدكتور (محمود الربيعي) هذه الحالة في معرض تعليقه على كتاب (النقد و الحداثة) للدكتور (عبد السلام المسدي) قائلا ((... وتعج الصفحات بما يُسميه المؤلف مصطلحات " من مثل " الجهاز المرجعي " و " التشابك المفهومي" "و التضافر الأسلوبي " كما تعج بالرموز,والجداول ولكننا إذا نَخَلنا المجهود المتراكم حَصُلنا على فوائد محدودة)) [16] ,وبذلك كله تحصل القطيعة ، وينفصل التواصل المعرفي والجمالي بين النص و الملتقى وتغيب الفائدة بسبب غياب شروط ومعطيات هذا التواصل المبني على توافر جوانب لغوية وفنية وثقافية مسبقة و متأصلة ترتبط بالملتقى من جهة, ومن جهة أخرى طبيعة النص الأدبي الحديث الذي يعكسها بطريقته في ظواهر معينة ،ولقد تفطن النقاد و الفلاسفة الغربيون لهذا الإشكال في ثمانيات القرن الماضي ، عندما أخذ هذا التوجه العام والمجردفي السيطرة على الآداب و النقود المختلفة ،فدعوا إلى الوقوف ضد هذه الثورة العارمة في ظل ما يسمى بالنظرية الكلية وأحيوا ما يسمى بمبدأ (ضد النظرية) القائم على إيجاد وبعث التواصل و التبادل المعرفي و الجمالي بين أطراف العملية النقدية على يد طائفة من العلماء الأمريكان وعلى رأسهم (ستيفن ناب) و(وولتر مايكلز)، ومن بعده طائفة من السميائيين أمثال (تشارلس موريس), (جون دوي)و(ستتلي فيتش) من الذين آمنوا بتأثير الظروف الخارجيةعلى النص وصاحبه، وهي حالة أكبر من أن تحتويها نظرية تفسيرية واحدة تنزع إلى المثالية التي تقصي الواقع، الذي تخضع له الأفكار سواء كانت مجردة أو عملية ((فقيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع أو بإمكانية تبلورها عمليا،وإنَّه حتى تكون الأفكار غير عملية فإنَّ الواقع التاريخي و العملي يظل مهيمنا عليها))[17] ،ومع مرور الزمن وانتشار هذا المبدأ العَملي انبثقت فكرة البراجماتيّة (pragmatisme) أو الذرائعية الجديدة،وهي امتداد لفلسفة معروفة بهذا الاسم أسسها الفيلسوف والسميائيي الأمريكي (تشارلز ساندرين بيرس) في القرن التاسع عشر ،إذ أصبح مصطلحا فلسفيا في عام 1878 م ، تحوّل فيما بعد باسم البرجماتيّة في عام 1905 م ليدخل عليها الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) بعد التعديلات والتوصيات الجديدة التي

تنظر إلى الواقع كمشهد يَمُوج بالحياة والنشاط بعيدا عن العالم المصطنع الذي يتخيله الفيلسوف المثالي ((.. رغم أن التنظير نزوع إنساني طبيعي للسيطرة على الظواهر المختلفة وفهمها ، ولكن المطلوب هو عدم إتاحة الفرصة لمثل هذا النزوع أن يهيمن على التفكير وذلك بالارتباط بالعالم المعيش وتذكر تعدديته واستعصائه على النظريات))[18] ،ويرجع الاستخدام الحديث لمفهوم البراجماتية إلى العالم الفيلسوف (تشارلز موريس) عام 1938 م واضع علم الرموز (السيميوتيّة),فلقد أشار في حديثه عن هذا العلم إلى مستويات هذه الدراسة وهي: مستوى نظم الجملة ،ومستوى علم الدلالة, ثم مستوى البراجماتية أي دراسة علاقة الرموز بمفسري هذه الرموز،(19), فالبرجماتيّة بذلك مبدأ يتجه إلى النفعيّة(**lutilitarisme**) التي لا تقيم الأشياء إلا بمدى ما ينجرّ عنها من فائدة ,ومنفعة معرفية، أوجمالية (20), وهي ترتسم بمجموعة من الأسس و المعايير تعتمدعلى فكرة مؤداها أنّ معيار الفكر يتمثل احتكاكه بالواقع المعاش ، وأنَّ المنفعة الجمالية هي العنصر الحقيقي للقيمة الفنية في الظاهرة الأدبية (21) ،وبذلك أتاحت البرجماتيّة للأدب أو النص الأدبي في ظل الدراسات النقدية الأسلوبية تفعيل مصادر الاتصال المختلفة والمحيطة بالنص, مما يساعد على التبادل الإيجابي والثري للنص مع متقبليه ,ويمتد هذا التفاعل الإيجابي ليسري في النص النقدي ذاته، مما يفسح المجال واسعا لظهور أو بروز بعض المناهج الأسلوبية الاتصالية ؛ كالأسلوبية الأدبية والنفسية ....وغيرها ،لأن للبراجماتية ((...تطبيقات محتملة في جميع المجالات التي تنطوي على كيفية فهم المنطوقات , وتضم هذه المجالات التي لا تعنى بصورة مباشرة بالمشكلات العملية مثل دراسة البلاغة والأدب...)) (22) ،ولقد أشار في هذا الإطار الناقد الغربي (ستيفن لفنسون) في كتابه (pragmatics) إلى أنّ نقص الجانب التبادلي يفضي إلى عجز بعض العلوم ومنها علم الأسلوب

على تبرير الجانب الاتصالي النص،وبذلك يعد التحليل الأسلوبي في ظل هذا المبدأ نصًا مغلقاو بنية شكلية معزولة عن سياقها الخارجي (عالم الكاتب /القارئ / النص) (23) ولتحليل عملية التداول أو التبادل الحاصلة بين الناقد و النص الأدبي ميدان الدراسة يجب التفريق هاهنا بين التداول الحاصل على مستوى واقع اللغة العربية وخصوصيتها الفنية والجمالية (البراجماتية المعيارية),و التداول الحاصل على مستوى واقع الناقد وأدواته المنهجية الحديثة(البراجماتية الوصفية

) ، في تناول ما يسمى بالظاهرة البلاغية / الأسلوبية لاختزال وحصر , ومن ثمة حل إشكالات الظاهرة الأدبية بين ميدان علم البلاغة من جهة , وعلم الأسلوبية من جهة أخرى ، مما يضطرنا حتما إلى الكشف عن معطيات البحث البلاغي القديم التي تتطلب حضور مجموعة فروض(تعليمية) و فروض تنظيمية بالشكل التالي:

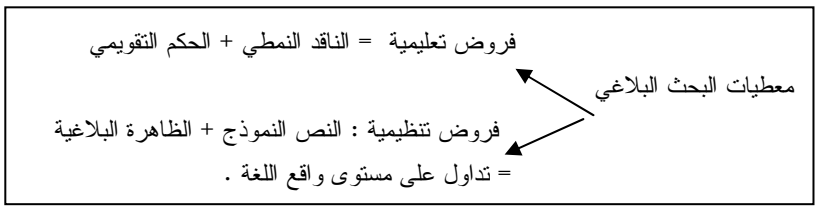

ولذلك لا يصح البحث البلاغي إلا بتوفر هذه الفروض في ظل واقع اللغة العربية الذي يتطلب شروط تداولية معروفة في ظل هذا البحث البلاغي.

أمّا البحث الأسلوب الحديث فيتطلب هو الأخر حضور بعض المعطيات الخاصة به

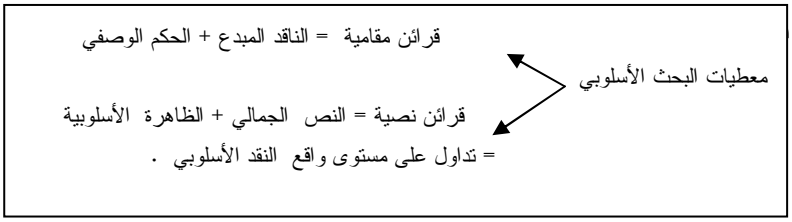

ولذلك لا يصح البحث الأسلوبي إلا بتوفر هذه القرائن في ظل واقع النقد الأسلوبي الذي يتطلب شروط تداولية خاصة به.

كما يمكننا وقف هذا التحليل التوصل إلى رسم وتحديد دائرة البحث البلاغي القديم بصورة عملية لتفسير طريقة البحث البلاغي بالشكل التالي :

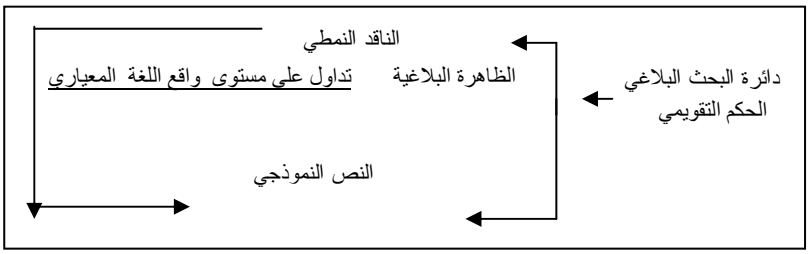

ومنه بتطبيق هذا البحث من قاعدة الظاهرة البلاغية البارزة من قبل الناقد النمطي ومنه فالبحث البلاغي ينطلق من قاعدة الظاهرة البلاغية البارزة للناقد النمطي كي يسلط عليها الحكم التقويمي القبلي ليصل في الأخير إلى مقارنة النص المدروس بالنص النموذجي عن طريق المعيار البلاغي .

أما دائرة البحث الأسلوبي فتتم بالشكل التالي :

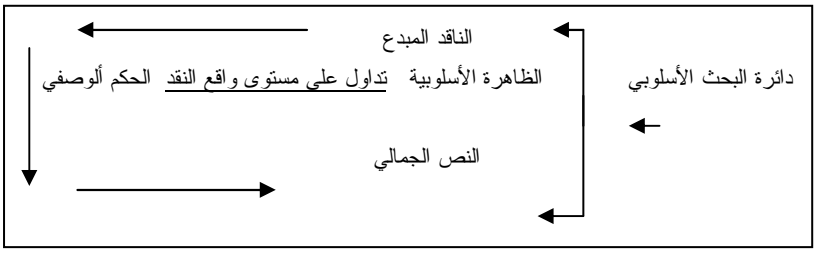

ومنه تتضح دائرة البحث الأسلوبي في اهتمامه بالظاهرة الأسلوبية التي تشترط ناقدا خاصا ليصدر عليها حكما وصفيا بَعديًا ذي طابع جمالي خاص للوصول إلى أدبية النص وجماليته ,وبذلك يتحقق التداول على مستوى واقع وفروض النقد الأسلوبي الحديث وليس على مستوى واقع اللغة المعياري .

ولا يمكن أن نتصور وفق هذه البيانات أنّ هناك فصلا تاما بين الميدان البلاغي

و الميدان الأسلوبي إلا أذا فصل الناقد ذاته في هذا المجال بين التداول على مستوى واقع اللغة المعياري و التداول على مستوى واقع النقد الأسلوبي باتخاذ وسيلتين هامتين وبكيفيتين مختلفتين :أما الوسيلتان فهما الحَدس (conjecture) ،والإسقاط (projection) اللتان تسيران بالتوازي في كل بحث بلاغي أو أسلوبي وفق الطريقة التي يتعامل بها الناقد مع هاتين الوسيلتين , فالبحث البلاغي لا يشترط وجود الحدس (الحدس # Ø) لأنّ الظاهرة البلاغية تلتقف ببساطة لتطابقها مع المعيارالبلاغي أو القاعدة البلاغية المخزونة في ذهن الناقد ،والذي يقوم بعملية الإسقاط المرجعي (إسقاط الظاهرة البلاغية على القاعدة البلاغية) لمعاينة هذه الظاهرة , أمّا البحث الأسلوبي فيشترط وجود الحدس (الحَدس = +) لأن الظاهرة الأسلوبية ظاهرة خاصة ــ غالبا ــ وغير مسبوقة مما يتطلب على الناقد المبدع

إصدار حكم وصفي وموضوعي (إسقاط غير مرجعي) على الظاهرة الأسلوبية لإبراز خصوصية النص وجماليته ، وبذلك تبرز خاصتي الحدس والإسقاط في دائرة البحث البلاغي / الأسلوبي بالشكل التالي :

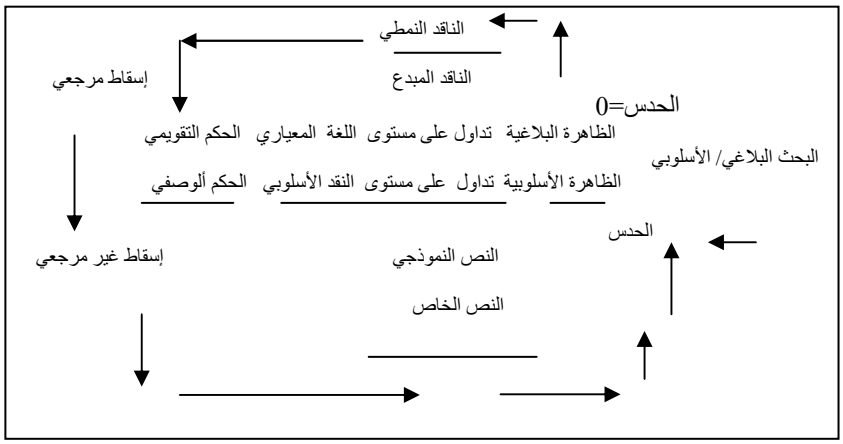

ولهذا التحليل لعملية التداول في البحث البلاغي الأسلوبي يتضح أن الجدال القائم بين الطوائف أو الفئات في كلا البحثين ناجم عن اختلاف الطريقة التي ي..... بها الناقد وبهذا التحليل لعملية التداول في البحث البلاغي /الأسلوبي يتضح أنّ الجدال القائم بين الطوائف في كلا البحثين ناجم عن اختلاف الطريقة أو السلوك الذي ينتهجه الناقد الأسلوبي عن الطريقة والسلوك الذي يتخذه البلاغي إزاء النص العربي الحديث بالاعتماد على خاصيتي الحدس والإسقاط لنقل النقد من جو التداول المعياري إلى جو التداول الوصفي .

ومن خلال ذلك كله نخلص إلى جملة من التوصيات والمعايير المنهجية التي تساعد الناقد الأسلوبي على فهم واستيعاب هذه الممارسة ومنها .

- قد تجتمع في النصوص الأدبية المحللة بعض المناهج البلاغية مع بعض التقنيات الأسلوبية على حسب المستوى الفني للنص المدروس , وعلاقته بواقع اللغة المعياري, وبالظروف و الملابسات الفنية المستحدثة ,وهو ما يوحي بامتداد المَدّ البلاغي الواجب توافره في أي نص عربي .

- لا يمكن للناقد الأسلوبي أن يقرَّ أو يحكم بطبيعة التحليل الذي أنجزه إلا إذا تم فحص المعالجة النقدية فحصا شاملا لترجيح الكفة إلى الطرف الذي يسيطر على التحليل فكم من دراسات نقدية أطلق عليها أصحابها بالمقاربات الأسلوبية وهي بعيدة كل البعد عنها .
- أنَّ الفهم الدقيق و الصحيح لظروف التداول الخاص بكل منهج أو علم يساعد الباحث على التزام أدوات وتقنيات هذا المنهج, وعدم الانزلاق في مناهج أخرى.
- لابد للباحث الأسلوبي – مهما كان ــ من معرفة بلاغية متأصلة بالقواعد البلاغية في لغته كي يتسنى له كشف جميع الظواهر النمطية وغير النمطية في نصه مع رصد الخروقات التي قد تكتشفها بعض الظواهر .
- يساعد الحَدس الجمالي الناقد الكشف على أي خرق فني أو شكلي في أي وحدة لغوية و لو كانت ظاهرة بلاغية معروفة ، فتتحول بذلك إلى ظاهرة أسلوبية لا يمكن تجاوزها .
- قد تتحول الظاهرة الأسلوبية الخاصة و المتكررة عبر نصوص عديدة إلى ظاهرة بلاغية أن كتبت لها الحياة حتى من قبل الخطأ الشائع .
- إنَّ إقرار بعض الأكاديميين المحدثين بوجود بعض المباحث الأسلوبية في التراث البلاغي العربي القديم من خلال تعدد المفاهيم البلاغية والاصطلاحية وتنوعها لدليل قاطع على وجوده فكرة التذوق الجمالي الخاص (الحدس)و اختلاف الحكم البلاغي (الإسقاط غير المرجعي).

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن هناك محاولات عديدة وجديدة لوضع إطار عام لعلم الأسلوب العربي قصد توجيه الناقدين و الباحثين إلى الخوض في إطاره دون اللجوء إلى عمليات الإسقاط المختلفة والتقليل من وطأة المعرفة الحَدسية وبذلك تتقلص تلك الممارسات الغامضة و الوافدة ,و التي لا تتواءم كلها مع طبيعة البحث الموضوعي النفعي ،وخصائص اللغة العربية ,ونذكر على سبيل المثال لا الحصر جهود الدكاترة : شكري عياد ، وصلاح فضل، وعبد الله الغدامي..... وغيرهم ممن لجئوا إلى عمليات التأصيل و التقنيين ,و المزج ،والإخراج برؤى عربية تنم عن شخصية ناقدة ومتمكنة تنزع إلى دفع هذا المشروع وإنضاجه هذه الفكرة لتتخذ وجها عربيا خالصا . (24)

الهوامش

(1) عبد السلام المهدي : في آليات النقد الأدبي ، دار الجنوب (ب.ط) ،1994 تونس ,ص 09

(2) علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، دار المعارف ط 17، 1964 مصر, ص 08

(3) أحمد طاهر حسين: الأسلوبية العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 ، 2000 القاهرة ، ص 13

(4) ينظر :في نفس المرجع ،ص 09

(5) عدنان حسين قاسم : الإتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة عاوم القرآن ، ط1 الشارقة 1992 ،ص 13- 14

(6) محمد كريم الكواز :علم الأسلوب ، جامعة السابع من ابريل ،ط 1 1426 هـ ليبيا ،ص 05

(7) حسن ناظم : البنى الأساوبية ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،2002م ، المغرب / لبنان ، ص 16

(8) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب ، ط2 1982م ، ص 06

(9) فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية ، مكتبة الأداب (الطبعة مزيدة)2004 م القاهرة ، ص 04

(10) ينظر: نفس المرجع ص 06

(11) ينظر : عدنان حسين قاسم : الإتجاه الأسلوبي في نقد الشعر العربي ، ص 10

(12) ينظر : شوقي علي الزهرة , الأسلوبية بين عبد القادر وجون مري ،مكتبة الأدب ،(ب ط) القاهرة ، ص 15

(13))ينظر : نور الدين.السّد : الأسلوبية وتحليل الخطاب : دار هومة .ج1 .1997م, الجزائر ،ص 07

(14) أحمد طاهر حسين : الأسلوبية العربية, مكتبة الأنجلو المصرية . ط1-2000 م القاهرة ، ص 103

(15) ميجان الروبلي / سعد البازعي : دليل الناقد الأدبي, المركز النقابي العربي،المغرب / لبنان : ص 102

(16) عدنان حسن قاسم : الإتجاه الأسلوبي البنيوي ، ص ,11 نقلا عن مجلة " فصول" القاهرة مج 5 ، ع1 ص، 231

(17) المرجع السابق : ص 101، 102

18) المرجع نفسه ، ص 102

(19) ينظر :أحمد شفيق الخطيب ،قراءات في علم اللغة ,ط1 ،دار النشر للجامعـــات ، 2006 م،مصر،ص 126

(20)ينظر : عبد السلام المسدي ،الأسلوبية والأسلوب،ص203

(21)ينظر :سمير سعيد حجازي ,قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر،ط 1 ،دار الأفاق ,2001 م، القاهرة ،ص 105

(22) أحمد شفيق الخطيب, قراءات في علم اللغة ،ص 133

(23) ينظر: ميجان الرويلي /سعد البازعي، دليل الناقد الادبي، ص 103

(24) ينظر عدنان حسين قاسم ، الاتجاه الأسلوبي البنيوي .....ص 16-18